صحيفة المرأة

تطور المرأة العلمي في الجليل

في أثناء خمسين سنة

[خطاب ألقاه حضرة المؤرخ الجليل القس أسعد أفندي منصور بمناسبة اليوبيل الذهبي الذي اقيم للمعلمة نصره بريدي في ٢٢ يوليو (تموز) سنة ١٩٢٦ بعد أن علّمت ٥٠ سنة في المعلم الانكليزي في مدينة الناصرة]

(أرسل خصيصاً لمجلة الاخاء لأن صاحبها جليلي ناصري)

ooo

وُلدت المعلمة نصره بريدي ونشأت في الشويفات في لبنان وتعلمت في مدرسة شملان المعروفة بزهرة لبنان وجاءت معلمة للمعلم الانكليزي في الناصرة سنة ١٨٧٦ ونحن اليوم في سنة ١٩٢٦ نحتفل بيوبيلها الذهبي .

نجدون على باب هذا المعهد تاريخ ١٨٧٤ أي قبل أن أتت بسنتين والحقيقة انها دخلته وجزء كبير منه لم يتم بناؤه بعد . بل علمت انها اشتغلت في بنائه المادي كما اشتغلت في بنائه المعنوي .

فتح هذا المعلم سنة ١٨٦٧ أي قبل أن أتت بعشر سنين فقط وكان قبلها فيه معلمتان احداهما الآنسة المعلمة كاتي جبرائيل من كفر شيا بلبنان وهي الآن من أهم العاملات في مدرسة الفرندس للبنات في رام الله (بفلسطين) . والثانية الآنسة المعلمة أنسطاس خوري من الشويفات . وهي مؤسسة المدرسة الوطنية فيها التي سلمتها الى الآنسة ميليا طراد قبل ذهابها الى أميركا حيث هي الآن .

سنة ١٨٥٠ كان روبنصن الباحثة الاميركي في الناصرة فذكر ان سعدى بنت ناصر الحداد (التي أسرة القس الياس مرمودا فرع منها) والتي صارت امرأة الياس سركيس « هي أول بنت في الناصرة تعلمت القراءة والكتابة » (١) وسنة ١٨٥٥

(١) تاريخ الناصرة للقس أسعد منصور صفحة ٨٦

تعلمت امرأة المرسل القس هوبر مع زوجها القراءة والكتابة . وفتحت مدرسة بنات وصارت تعلم وتأخذ معلمات من تلميذاتها — أما ماذا كانت تعلم ؛ وما هي لائحة هذه المدرسة ؟ فاتركه دون وصف لتصور القارىء . انما أقول ان هذه المدرسة هي أساس مدارس البنات اليومية في الناصرة لجمعية (M. E.) التي بلغ عددها قبل الحرب الاخيرة أربعاً فيها من ٣٠٠ — ٥٠٠ تلميذة عدا المدارس الاخرى لغير طوائف (١) كان يعد تعليم المرأة حملة بل ان كثيرين كانوا يعتقدون ان تعليم البنت القراءة والكتابة مرادف لتعليمها الوقاحة بل الخلاعة . فكان يقول الوالد لماذا أعلمها الكتابة ؛ ألكي ترامل خطيبها ؟ فكان يفضل أن تكون المجائز وسائل الصلة بين الحبيبين (كما لا يزال جارياً عند الجاهلين) على المكاتبة .

قابلوا هذه الحال بحال المرأة اليوم . قفوا عند العين وانظروا جيش صبايا الناصرة . السائرات بجانب المسيحيات من مختلف الطوائف ذاهبات وآتيات من مدرسة الحكومة وكل واحدة منهن متأبطة حقائبها (٢) كأنها جندي يمشي ذاهب الى الموقعة أو عائد منها منتصراً .

قابلوا ذلك بجيش ملائكة هذا المعهد الذي حضر أكثرنا احتفاله يوم ١٦ الجاري وانظروا ماذا كان حال اكثرهن بدونه . في هذا المعهد كانت أمة تنفر مدة ٥٠ سنة تعد فيه وطن مثل هذا الجيش كل سنة .

قابلوا الماضي بالحاضر . قابلوا ذلك بابنة كفركنا (فانا الجليل) الآنسة منيرة صفوري التي درست في الجامعة الاميركية جنباً الى جنب بين مئات من الشبان وخرجت هذه السنة حاملة شهادة البكالوريا (معلم علوم) . استشارتني قبل دخولها الجامعة فقلت لها : « تدرعي بالدين الامين . والخلق المتين واذهبي ولا تخافي » . فشكرتني وقالت: « لقد كادت انتقادات المنتقدين تثبط عزمي أما الآن فانا ذاهبة وعلى الله الاتكال » . وهاهي قد خرجت من ميدان ٢٤ كالذهب الخارج من بوتقة الصائغ وستكون معلمة بنانا في مدرسة الحكومة في القدس وهي أول فلسطينية جليلية نالت

(١) راجع تاريخ الناصرة صفحة ١٥٥ و ١٦٧ و ١٧٥ و ١٨٢

(٢) المتأبط شيء تعلق به الحالي وتشده في وسطها جهة جنب . رأيتها في غاية الناسبة للابسه التلامذة محفظة وهي تحفظ به الكتب ويشد بلاقة الى الكتف

هذه الرتبة . فهل يقال بعد هذا : ان تعلم المرأة العلوم كتعلمها الخلاعة ؟...

عندما احتلت العسكرية التركية المستشفى الانكليزي في أوائل الحرب عام ١٩١٤ أتت اليّ ثلاث من تلميذات هذه المدرسة كنّ ممرضات فيه لكي يستشرنني في طلب السر طبيب البين ليكنّ ممرضات في المستشفى العسكري ـ وكل واحد منا يمكنه أن يتصور ما يقوله الناس عن بنات بين العسكر بمرض الجنود . فقلت لهن « اذهبن يابناتي واشتغلن بين الجنود ولاتخفن منهم بل خفن من أنفسكن وأنا كفيل بأنه لايعتدي عليكن أحد ». فذهبن وكن مقدمة لاكثر من ٢٥٠ امرأة وبنت اشتغلن مدة الحرب في هذه المستشفيات التي بلغ عددها ٢٨ مستشفى وخرجن منها متوجات بتيجان الشرف الادبي مما دل على أن بناتنا الشرقيات لاينقصهن سوى العلم والتشجيع ليباريْن اخواتهن الغربيات في ميادين العلم والآداب وخدمة الوطن .

تأملوا هذا التطور العظيم في حال المرأة وقابلوه بحال المدارس عموماً في الماضي حين كانت (قضبان الرمان) حزماً على طاولة المعلم والتلميذ الذي يود ارضاء معلمه يأتيه بأحسن القضبان. فابلوه بعصر (الفلقة) التي كان يمسكها تلميذان قويان ورأس التلميذ المجرم (ان كان مجرماً) الى الارض ورجلاه الى فوق والعصا في يد المعلم أو المعلمة صاعدة نازلة حتى يسيل الدم من الرجلين ولايزال طعم هذه القضبان وطعم تلك الفلقة في أفواه المتقدمين منا . أما الآن فتحطمت القضبان وتقطعت الفلق وصار المجرم ليس التلميذ بل المعلم الذي يرفع عصاه على تلميذ . صار أشهر عقاب للتلميذ أن يشهر بتعليق اعلان أو بتعطيله عن بعض الدروس أو عنها كلها اذا اقتضى الامر ولايزوم بعد لان يرسل المعلم جنوده من أقوياء التلاميذ لجرّ متمرد عن المجيء ويجرونه وهو يشرغ ويجأر كأنه ثور يذبح اذ صار يعد تأخره عن الوقت بضع دقائق خسارة له حيث أصبح للمعلم قيمة .

تقدم هذا التطور في خلال هذه الخمسين سنة . وكان لهذا المليم أعظم أثر في هذا التطور في الجليل عموماً وفي الناصرة خصوصاً . وللمعلمة نصرة نصيب كبير من هذا الاثر فاللواتي تعلمن عندها وعلمن معها ١٢ معلمة . فكم من المعلمات والمعلمات في مختلف الجهات ؟ بل في مختلف اعمال الحياة في الهيئة الاجتماعية من بني وبنات

هؤلاء التلميذات ؟

تحتفل ببوبيك أيتها المملة الفاضلة في السنة التي احتفل فيها الملوك والعظماء والعلماء ببوبيل «المقتطف» ـ أن من يسمع ويقرأ ببوبيل المملة نصرة مقرونة بذكر ببوبيل «المقتطف» يهز رأسه استصغاراً لهذه المقابلة وكأنه يقول : ما أشبه هذه المقابلة بتشبيه السيف بالعصا ! فأين المملة نصره بريدي من صاحبي «المقتطف» وأين أثرها من أثرهما وأثر مقتطفها في العالم الشرقي عموماً والعالم العربي خصوصاً ؟ وكأني بالمحتفل بها نفسها تستصغر ذاتها عند ايراد هذه المقابلة . ولكني لو سألت الدكتورين صروفاً ونمراً رأيهما فلا أظن أنهما يستصغران هذه المقابلة كل هذا الاستصغار بل أنهما يقدران معي جلد من علمت خمسين سنة في مدرسة واحدة على نفس واحد بدون انقطاع حق قدره وان من يدرك ما يحتاجه التعليم خمسين سنة متوالية في معهد واحد مع تعدد الرئيسات والمعلمات على اختلاف المشارب والطباع ـ وما يحتاجه هذا الجلد من متين الاخلاق ولين العريكة ـ ان من يتحقق ذلك يقلّ عنده استصغار هذه المقابلة ويزداد مقام المحتفل بها في عينيه

ومع ذلك أقول اننا في كل أمثال هذا الاحتفال نحتفل بمبادىء أكثر مما نحتفل بأشخاص. نحتفل بالمبدأ الذي لاجله أقيم الاحتفال «بالمقتطف» كما أقيم هذا الاحتفال . لان الامة أخذت تقدر قيمة العاملين فيها (كما ذكرت في رسالة الدعوة الاولى) اذ قلت : « لقد اصبح أدق مقياس لرقي أمة تقدير تلك الامة قدر العاملين والعاملات والممتازين فيها فيحسب رقيها بنسبة سمو هذا الشعور فيها فمن الامة فضله والى الامة نقمه » نحن نحتفل ونكرم اليوم الصبر والثبات والمحبة . لقد فرغ شعر المحتفل بها من مادته السوداء التي تصبغ الشعر فابيض شعرها ـ ولم يفرغ قلبها من هذه الفضائل . وكأنها كموسى بعد عمره الطويل وسيره الجميل مدة ٤٠ سنة في البرية « لم تكل عينه ولا ذهبت نضارته » ... اننا لانحتفل اليوم بنابغة من نوابغ الذكاء بل بنابغة من نوابغ الاخلاق وأي فضيلة يحتاج اليها الشرق اكثر من الاخلاق «وانما الامم الاخلاق»

فيا أيتها المحتفل بها نخشى أن تنسى هذه المدرسة في قلبها بذهابك منها . وكم كنا نود لو قالت لك الجمعية ما قاله نابليون عن فلطا يوم أراد ان يعتزل التدريس في مدرسة بفينا : « اذا كانت أعمال فلطا شاقة فيجب أن تخفف وعليه أن يعلم ساعة

واحدة في السنة أذا اراد » (١) انما قد دعاك الى وطنك واجب أشرف كأنك سمعت ربك وأهلك ووطنك أن تخدميهم بكل ذرة من قواك وكل دقيقة من وقتك الى أخر نسمة من حياتك . فاذهبي الى وطنك الحرفي ولا تنسى وطنك المعنوي امضي في جهادك لربك ولوطنك وأهلك إلى أن يجمعنا الله في السماء حيث ترين من ثمر عملك ما تجهلينه الآن وحيث تلبسين تيجان مجد تماثل نقاء سيرتك وتفوق بياض شعرك الفضي . ولي في اختتام عندك رجاء

« زوريني ولو في السنة مرة »

* * *

وهنأ المحتفل بها حضرة الفاضل اسكندر افندي جبور بخطبة قيمة قرأتها الآنسة مريم حداد احدى التلميذات المنتهيات وقد افتتحها بهذه الابيات :

يوبيلك الذهبي جاء محققاً	ليبيلك الماسيّ يا أخت السلام
جئت (الناصرة) فكنت (نصرة)	لبنات يسنم في ميادين الوئام
وحنوت كالأم الرؤوم على لطيـ	ـات ضمتهن من عهد العظام
فحملت أثقالاً تنوء بها الجبا	ل لذاك قد قلدت من رب وسام
رب كريم قد جـزاك كرامة	وبفضله يجزيك من ملك الختام

* * *

(الاخاء) لحضرة المربية الفاضلة نصره بريدي فضل عظيم على بنات الناصرة وملحقاتها ويكفيها فخراً أنها أنجبت وهذبت مئات من الفتيات أصبحن بفضلها وبما بثته في نفوسهن من روح التقوى والمبادىء القويمة أمهات وربات بيوت يديرن دفة مملكة البيت « تدبير الحكيمات العاقلات . وينجبن للبلاد شباناً يغرسن في قلوبهم منذ نعومة اظفارهم حب الوطن والاخلاق القويمة. فالمحتفل بها على كل حال أم لأولئك الامهات ومربية لتلك الفاضلات. نسأل الله أن يمدفي عمرها ويشد أزرها ويجزيها جزاء الخير وخير الجزاء . وفي الوقت نفسه نشكر أولئك الافاضل الذين احتفلوا بيوبيلها وعددوا مناقبها واعترفوا بفضلها، وانما الفضل يعرفه ذووه »

(١) اعلام المنتطف صفحة ٧٤